

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

التعليق على كتاب الھوقظة في علم مصطلح الحديث _ للحافظ الذهبي _

الدرس التاسع عشر: من التعليق على كتاب الھوقظة في علم مصطلح الحديث

وروي أن مالكا رحمه الله كان يغتسل للتحديث، ويتبخر ويتطيب، ويلبس ثيابه الحسنة، ويلزم الوقار والسكينة، ويزبر من يرفع صوته، ويرتل الحديث.

وقد تسهح الناس في هذه الأعصار بالإسراع الھذهور، الذي يخفى معه بعض الألفاظ. والسهاع هكذا لا هيزة له على الإجازة، بل الإجازة صدق. وقولك: "سهعت" أو قرأت هذا الجزء كله مع التمهته ودهج بعض الكلمات: كذب.

وقد قال النسائي في عدة أهاكن من صحيحه: "وذكر كلمة معناها: كذا وكذا". وكان الحفاظ يعقدون مجالس للإهلاء، وهذا قد عدم اليوم. والسهاع بالإهلاء يكون محققاً

بببان الألفاظِ للمسوعِ والسامعِ.

وليجتنبُ روايةَ المشكلاتِ، مَهَّا لا تحملهُ قلوبُ العاويةِ. فإن رَوَى ذلك، فليكن في مجالس خاصة. ويحرمُ عليه روايةَ الموضوعِ، وروايةَ المطروحِ، إلا أن يبينه للناسِ ليحذروه

والإتقان. فإن انضافَ إلى ذلك المعرفةُ والإكثارُ، فهو حافظٌ.

والحفاظُ طبقات

1- في ذروتها: أبو هريرة - رضي الله عنه -.

2- وفي التابعين ك: ابنِ الهسيبِ.

3- وفي صغارهم ك: الزهريِّ.

4- وفي أتباعهم ك: سفيان، وشعبة، ومالك. ثم

5- ابن المبارك، ويحيى بن سعيد، ووكيع، وابن مهدي. ثم:

6- كأصحابِ هؤلاء، ك: ابنِ الهديني، وابنِ مَعِين، وأحمد، وإسحاق، وخَلْق. ثم:

7- البخاريُّ، وأبي زُرعة، وأبي حاتم، وأبي داود، ومُسْلِم. ثم:

8- النَّسائيُّ، وموسى بن هارون، وصالح جَزَّرة، وابن خزيمة. ثم:

9- ابن الشرقي. وهمن يُوصَفُ بالحفظ والإتقان، جماعةٌ من الصحابةِ والتابعين، ثم:

10- عبيد الله بن عمر، وابن عَوْن، ومِسْعَر. ثم:

11- زائدة، والأليث، وحماد بن زيد. ثم:

12- يزيد بن هارون، وأبو أسامة، وابن وهب. ثم

13- أبو خيثمة، وأبو بكر بن أبي شيبة، وابن نُهَيْر، وأحمد بن صالح. ثم:

14- عَبَّاسُ الدُّورِيِّ، وابن وَارَمَ، والترهذيّ، وأحمد بن أبي خَيْثَمَةَ، وعبد الله بن أحمد. ثم

15- ابنُ صَاعِدٍ، وابن زياد النيسابوريّ، وابن جَوْصَا، وابن الأَخْرَمِ. ثم:

16- أبو بكر الإسهايليّ، وابن عَدِيّ، وأبو أحمد الحاكم. ثم

17- ابن مَهْدَمَ، ونحوه. ثم:

18- البرقانيّ، وأبو حازم العبدويّ. ثم:

19- البيهقيّ، وابن عبد البر. ثم:

20- الحويديّ، وابن طَاهِر. ثم:

21- السلفيّ، وابن السَّهَّعَانِي. ثم

22- عبد القادر، والحازميّ. ثم:

23- الحافظ الضياء، وابن سيّد الناس خطيب تونس. ثم:

24- حفيدم حافظ وقته أبو الفتح.

وهنَّ تقدّم من الحفاظ في الطبقة الثالثة: عدّد من الصحابة وخلق من التابعين وتابعيهم، وهلمَّ جرّاً إلى اليوم. فهنَّ يحيى القطان يقال فيه:

1- إهام، وحجة، وتبّت، وجهبذ، وثقة ثقة. ثم:

2- ثقة، حافظ. ثم

3- ثقة، متقن. ثم:

4- ثقة عارف، وحافظ صدوق، ونحو ذلك.

فهؤلاء الحفاظ الثقات: إذا انفرد الرجل منهم من التابعين، فحديثه: (صحيح). وإن كان من الأتباع، قيل: (صحيح، غريب). وإن كان من أصحاب الأتباع، قيل: (غريب، فرد). ويندر تفردهم، فتجد الإمام منهم عنده مثل ألف حديث، لا يكاد ينفرد بحديثين ثلاثة! ومن كان بعدهم: فأين ما ينفرد به؟ ما علمته، وقد يوجد.

ثم ننتقل إلى:

5- اليقظ، الثقة، المتوسط المعرفة والطلب.

فهو الذي يطلق عليه أنه: "ثقة"، وهم جمهور رجال "الصحيحين". فتابعيهم إذا انفرد بالهت، خرج حديثه ذلك في الصحاح. وقد يتوقف كثير من النقاد في إطلاق "الغرابة" مع "الصحة" في حديث أتباع الثقات. وقد يوجد بعض ذلك في الصحاح دون بعض.

وقد يسمي جماعة من الحفاظ الحديث الذي ينفرد به مثل هشيم وحفص بن غياث: (منكرًا). فإن كان المنفرد من طبقة وشيخة الأئمة، أطلقوا النكارة على ما انفرد به مثل عثمان بن أبي شيبة، وأبي سلمة التبوذكي، وقالوا: (هذا منكر).

فإن روى أحاديث من الأفراد المنكرة، غرزه ولينوا حديثه، وتوقفوا في توثيقه. فإن رجع عنها، واهتنع من روايتها، وجوز على نفسه الوهر: فهو خير له، وأرجح لعدالته. وليس من حد الثقة أنه لا يغلط ولا يخطئ، فمن الذي يسلم من ذلك غير المعصوم الذي لا يقر على خطأ!

فصل

الثقة: من وثقه كثير، ولم يضعف. ودونه: من لم يوثق ولا ضعف. فإن خرج حديث

هذا في "الصحيحين"، فهو موثق بذلك. وإن صح له مثل الترمذي وابن خزيمة، فجيد أيضاً. وإن صح له كالدارقطني والحاكم، فأقل أحواله: حسن حديثه.

وقد اشتهر عند طوائف من المتأخرين إطلاق اسم "الثقة" على: من لم يجرح، مع ارتفاع الجهالة عنه. وهذا يسمى: "مستوراً"، ويسمى: "محل الصدق"، ويقال فيه: "شيخ"

وقولهم: "مجهول"، لا يلزم منه جهالة عينه. فإن جهل عينه وحاله، فأولى أن لا يحتاجوا به. وإن كان المنفرد عنه من كبار الأثبات، فأقوى لحاله، ويحتاج به مثله جماعة كالنسائي وابن حبان.

وينبوع معرفة الثقات: تاريخ البخاري، وابن أبي حاتم، وابن حبان، وكتاب "تهذيب الكمال".

فصل

من أخرج له الشيخان على قسمين:

- أحدهما: ما احتج به في الأصول.

- وثانيهما: من خرجه له متابعاً وشهادةً واعتباراً.

فمن احتج به - أو أحدهما - ولم يوثق، ولا غمز: فهو ثقة، حديثه قوي.

ومن احتج به - أو أحدهما - وتكلم فيه فتارةً يكون الكلام فيه تعنتاً، والجمهور على توثيقه، فهذا حديثه قوي أيضاً، وتارةً يكون الكلام في تليينه وحفظه، له اعتبار، فهذا حديثه لا ينحط عن مرتبة (الحسن) التي قد نسيها: (من أدنى درجات الصحيح)، فما في "الكتابين" بحمد الله رجل احتج به البخاري أو مسلم في الأصول ورواياته ضعيفة، بل حسنة أو صحيحة.

ومن خرجه له البخاري أو مسلم في الشواهد والمتابعات، ففيهم من في حفظه شيء، وفي توثيقه تردد. فكل من خرجه له في "الصحيحين"، فقد قفز القنطرة. فلا معدل عنه، إلا

نعم، الصحيح مراتب، والثقات طبقات: فليس من وثق مطلقاً كمن تكلم فيه، وليس من تكلم في سوء حفظه واجتهاده في الطلب كمن ضعفوه، ولا من ضعفوه ورووا له كمن تركوه، ولا من تركوه كمن اتهموه وكذبوه. فالترجيح يدخل عند تعارض الروايات. وحصر الثقات في مصنف كالمعتذر، وضبط عدد الهجوليين مستحيل!

فأما من ضعف، أو قيل فيه أدنى شيء: فهذا قد ألفت فيه مختصراً سميته بـ "المغني"، وبسطت فيه مؤلفاً سميته بـ "الميزان".

سجل هذا الدرس

ليلة السبت 13 جمادى الأولى 1443 هجرية